تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي ا D حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم أي من الحياء والخجل يقولون { ربنا أبصرنا وسمعنا } أي نحن الان نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى : { أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا } وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم { لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير } وهكذا هؤلاء يقولون { ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا } أي إلى دار الدنيا { نعمل صالحا إنا موقنون } أي قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا يكذبون بآيات ا ويخالفون رسله كما قال تعالى : { ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا } الاية وقال ههنا { ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها } كما قال تعالى : { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا } { ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين } أي من الصنفين فدارهم النار لامحيد لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ با وكلماته التامة من ذلك { فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا } أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له { إنا نسيناكم } أي سنعاملكم معاملة الناسي لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء بل من باب المقابلة كما قال تعالى : { اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا } وقوله تعالى : { وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون } أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال تعالى في الاية الأخرى { لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا * إلا حميما وغساقا * جزاء وفاقا * إنهم كانوا لا يرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كذابا * وكل شيء أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا }